ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

جريدة يقظة سطيف (*L'EVEIL DE SETIF*)

مصدر مهم في كتابة تاريخ سطيف (الاجتماعي)

أ. وهيبة قطوش

جامعة الجزائر2

مقدمة:

تعتبر جريدة "L'Eveil de Sétif " أو " يقظة سطيف"[1] من الصحف التي تم اصدارها في الفترة الاستعمارية[2]، وقد أنشأتها الإدارة الفرنسية في الشرق الجزائري وبالضبط في مدينة سطيف. وقد عملت إدارة الجريدة ومن ورائها السلطات الفرنسية من خلال تلك الجريدة على الترسيخ لأفكار فرنسا الاستعمارية وتمرير قوانينها ومراسيمها و مختلف تقاريرها، كون "L'Eveil de Sétif "جريدة إشهارية، مهتمة بالإعلانات وإشهار المعاملات والعقود[3].

وإننا من خلال دراستنا لهذه الجريدة فإننا ندرس إحدى الصحف التي أرّخت لمنطقة سطيف، ونحاول قدر الإمكان أن نطلع القارئ على أهم ما جاء فيها وعلى مجالات اهتماماتها، وعلى ما تضمنته من تاريخ هذه المنطقة مركّزين في ذلك على التاريخ الإجتماعي.

1- أهم المواضيع والقضايا الإجتماعية التي تضمنتها الجريدة:

تنوعت المواضيع والقضايا التي تضمنتها جريدة"L'Eveil de Sétif" فقد احتوت على الكثير من الإعلانات، منها ما كان ذو طابع سياسي أو ثقافي أو اجتماعي أو قانوني...

فقد نشرت إعلانات تهاني الزواج والطلاق والنجاح، والترقيات، والتعيينات، والترشيحات والفوز في الانتخابات وغيرها... إضافة إلى الإعلانات الثقافية، كالإعلان عن الإصدارات

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

الجديدة، وكذا مواعيد الحفلات وسير مراسيم الاحتفالات والدورات الرياضية، والمسابقات العلمية والفنية المحلية و الدولية.

القضايا الاجتماعية:

تبرز جريدة" L'Eveil de Sétif "في خضم الكلمة التي ألقاها السيد برانكا[4] M.charle brincat رئيس بلدية سطيف أمام بعثة رؤساء بلديات فرنسا الذين قدموا الى الجزائر وبالضبط الى قسنطينة - متوقفين في سطيف-، أن عدد سكان سطيف ارتفع من 4000 نسمة سنة 1900 م، إلى 70.000 نسمة سنة 1955م وتحاول النظرة الرسمية الفرنسية متمثلة في كلمة رئيس بلدية سطيف الذي أعلن مؤكدا أقواله: "...النتيجة هنا أمام أعينكم. في 1900م لم يكن بسطيف سوى 4000 ساكن...عدد السكان اليوم 70.000 ساكن ومنحنى النمو الديموغرافي لا يسجل أي ميل إلى الاستقرار..."[5] أن تجعل ذلك نوعا من النمو والتطور بشكل كبير. مما بوّأ سطيف أهمية كبيرة وخول لها أن تسمى عاصمة الهضاب العليا بفضل الإنجازات الفرنسية المحققة فيها وخاصة مستشفى المدينة الذي قال عنه رئيس بلدية سطيف أنه من بين أهم المؤسسات في الجزائر.

كان وفد هذه البعثة متكون من السادة: M.Raoult رئيس البعثة ونائب رئيس بلدية فرساي، De Garcia رئيس بلدية أركاشو *Arcachon* السيد با *Bas* رئيس بلدية إيسوران لو شاتو Hsserin-le-château ج.م مارتن J.M.Martin سكرتير عام سابق رئيس دائرة ريول Reole السيد ليليت Lilit مير بودنساك Podensac، السيد دو فورسفيل De Forceville مير فريكوت Fricout، السيد بيفار Pefert، رئيس بلدية جوانفيل Join-ville،le pont, pallette, رئيس بلدية Latresne, Max Richard رئيس تحرير مجلة "الاتحاد" la Fédération, Cotel, مدير الشؤون الاجتماعية في فندق à l'hotel de ville de troyes et Gissy maire - de saint louis.

كما تتعرض الجريدة إلى العديد من المناسبات الاجتماعية الأخرى كإعلانات الاحتفالات بأعياد الميلاد والترقيات والنجاح في العديد من المناسبات، وكذا التعازي والتأبينات...وهي بهذا تزخر بالعديد من المعلومات التي يعتمد عليها الدارس لتاريخ سطيف السياسي والاجتماعي بشكل خاص، اذ أن هذه الإعلانات والتأبينات والتهاني تشكل مادة خصبة يقتني منها الباحث

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

والدارس لتاريخ منطقة سطيف الكثير من الأحداث لما توفره له من أخبار عن الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية والنشاطات الانسانية مثلما ورد عن أسامي أشهر وأكبر عائلات المجتمع السطايفي آنذاك التي كانت على علاقة وثيقة بالسلطات الفرنسية وتتعامل معها. إذ أنه من غير المعقول أن تهئ جريدة تابعة للإدارة الفرنسية أحد أفراد عائلة "ثوري" الذي هو في نضرها عدو و خارج عن القانون، أو تقوم بدعوة أحد أفراد الشعب البائس الفقير أو الناقم على المستعمر الفرنسي. ؟؟

ومن خلال دراستنا للاعلانات المختلفة التي وردت في الجريدة فإننا نجد أنها تضمنت العديد من أسماء أهم العائلات التي كانت تترأس المجتمع السطايفي نذكر منها عائلة باشوشي، عائلة خنيش، عائلة بن حلة، بن نوزة، ساحلي، ايت أحسن، فرحات، خرصي، قابس، احميد، عوديه، فنارجي، قداد، قاسي، بوطالبي وغيرها الكثير. وتمثل هذه الأسماء أهم عائلات المجتمع السطايفي إن كان في الفترة الاستعمارية وشغلت حينها مناصب هامة في الإدارة الفرنسية، أو في السنتين الأوليتين من فترة الاستقلال وفي الحد المتوفر لدينا من أعداد الجريدة.

كما لا يمكننا أن نغفل تلك الأسماء والألقاب المزدوجة التي جمعت بين الإسم الأوروبي والإسم العربي(الجزائري) والتي تقودنا إلى قضية الزواج المختلط بين العائلات المستوطنة وعائلات الجزائريين المسلمين(السكان الأصلين) وهو ما يؤكد لنا عمل المستعمر على دمج العنصر الأوربي بالجزائري العاملين تحت سلطته كالقياد وبعض عناصر النخبة بهدف انتاج جيل يرسخ فيه المبدء الفرنسي"الجزائر الفرنسية" و ليركز العنصر الأوربي وجوده في المنطقة، وبالتالي يضمن استمرارية سلالته فيها. ومن أكثر الأسماء انتشارا وتداولا على صفحات الجريدة نذكر، بول وليد، و جوزاف زموم.

الدين:

أدرك الاستعمار منذ القدم مدى تأثير الدين كعامل روحي وعقائدي على توجيه واستقطاب الإنسان وكذا ترويض واستمالة العنصر البشري، فعمل كثيرا على هذا الوتر الحساس لكسب ثقة السكان الأصلين فادعى أنه حامي الأديان و صائن المعتقدات، و"لا ريب أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير إنما هو "القضاء على الأديان الغير النصرانية" توصلا الى استعباد أتباعها"[6]

وجريدة L'Eveil de Sétif" من جانب آخر تطلعنا على بعض المظاهر الدينية التي عملت الإدارة الفرنسية على احيائها والتي تدخل في إطار مخططاتها الاستعمارية الرامية الى طمس المعالم الدينية والمعتقدات الثابتة للمجتمع الجزائري المسلم مثلما كانت تفعله منذ أن وطئت قدمها أرض الجزائرف"منذ القرن الرابع عشر الى القرن الثامن عشر كان الرهبان الدومينكان والفرنسيسكان يعملون جاهدين في مراكش والجزائر وتونس ..."[7]

لقد وردت في الجريدة عدة عناوين تؤكد هذا التوجه، مثلما تضمنه أحد العناوين الذي يتبين لنا من خلاله وجود جالية يهودية تمارس عقيدتها بكل حرية وعلن في سطيف اذ يبين الإعلان نفسه مراسيم انعقاد جمعيتها العامة العادية[8]" cultuelle Israélite de Sétif أهم ما جاء فيه:

العبادة الإسرائيلية cultuelle Israélite de Sétif:

اعلان من العبادة الاسرائيلية. سوف يتم تلقي فطيرة عيد الفصح كل يوم وحتى 15 مارس...عند السيد شالوم gozlan chaloum بحي ليفي بسطيف.[9]

تورد الجريدة أيضا العديد من نشاطات الكنيسة المسيحية التي لم تذخر جهدا لتنصير الشعب الجزائري المسلم وتحطيم روابطه الاجتماعية من أجل تفكيكه اذ أنّ" المعركة بين المبشرين والأديان غير النصرانية ليست معركة دين، بل هي معركة في سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية"[10].

وهذ مقتطف من الكلمة التي ألقاها رئيس أساقفة ليون ايتيان، ديوفال Duval رئيس أساقفة الجزائر خلال احتفال القداس البابوي للوئام في الجزائر والذي بثته الإذاعة الجزائرية في السنوات الاولى الاستقلال وإن دل على شيئ فإنما يدل على مدى تمسك فرنسا بإبقاء الجزائر مرتبطة بها روحيا حتى وإن انفصلت عنها اداريا.

فمما جاء فيها:

"هذه الرسالة هي في نفس الوقت دعوة لكل إخواني لتقديم مساهمته لبناء الجزائر، هذه الجزائر التي تبحث عن نفسها، والتي لن تجد توازنها بدونكم".[11] والجدير بالذكر فإن الأساقفة

ورجال الدين الفرنسيين لما عجزو عن تنصير الجزائرين بالقوة أو بالدعوة أرادوا أن يصلوا إلى نفوسهم بسلوك الحيلة: فعملوا على انشاء مركز للتبشير يشبه في مظهره مظاهر الحياة الاسلامية وخططوا لكثير من الأساليب التي تسهل عليهم عملية التنصير أراد لافيجري أن يجعل من مدينة بسكرة زاوية مسيحية... واقترح أن تسمى بيت الله ورأى أن يلبس روادها ألبسة تشبه ألبسة رواد الزوايا حتى يتمكنوا من الاختلاط بهم و التغلغل بينهم[12].

نشاطات إدماجية:

تعتبر الصحيفة مادة دسمة لتوضح الحياة الاجتماعية لمنطقة سطيف، وواقعها المعيشي. ويبدو المخطط الإدماجي الفرنسي فيها واضح، من خلال إحياء العادات والمناسبات الغريبة عن مجتمعنا المسلم، بغية طمس هويته العربية الإسلامية، واستبدال ثقافته المحلية الأصيلة بثقافة تغريبية جديدة، تحقق بصورة خفية وبأسلوب ذكي الأهداف الاستعمارية في التمكين لفرنسة المنطقة.

ويمكننا الاستشهاد في ذلك ببعض الوقائع والإعلانات والحفلات التي كانت تقام في تلك الفترة مثلما جاء في العدد 1429 من السنة 30 الصادر بتاريخ 05 جانفي 1961، عن الاحتفال بالسنة الميلادية الجديدة بإشراف رئيس دائرة سطيف le préfet de Sétif السيد تولال Taulelle الذي استقبل العديد من الأعيان والمسئولين السامين وضباط الجيش وإطارات المنطقة.

وبإلقاء نظرة على قائمة المدعوين نجد أسماء وشخصيات جزائرية، كالسيد بن حلة الذي شغل منصب رئيس المجلس العام، والسيد ساحلي رئيس اللجنة الإدارية. وتُعطى لهذه الاحتفالات أهمية كبيرة ويدعى إليها كبار المسؤولين والشخصيات كما سبق ذكره، كونها من اللحظات التي يلتقي فيها هؤلاء لتبادل الآراء وتفعيل العنصر الأوربي لدى مختلف الطبقات. وهنا نلتمس تلك الهوة وذالك الشرخ الذي أحدثته القابلية للاستعمار التي تشبع بها هؤولاء (الجزائريون؟) الذين اقتنعوا ولو ضمنيا أنّ الجزائر أرض فرنسية وأنهم أصبحوا حقا فرنسين يتمتعون بكامل الحقوق القانونية والمدنية التي يتمتع بها المستوطنين. إلا أنهم عاشوا التناقض المرّ، الذي بدأ تاريخه من الصدام القائم بين شعب استأنف سيره في الطريق، وادارة أجنبية

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

كانت تعمل على إعاقة هذا السير، باستبقائها لضباب الاستعمار والقابلية للاستعمار ومحافظتها عليه."[13]

ومن مظاهر الإدماج هذه التي تسعى إلى تحقيقها الجريدة نجد تلك الإعلانات والنداءات التي تنشرها على صفحاتها وأهم مثال على ذلك، إعلانات التوظيف والمسابقات التي نجدها في مختلف الأعداد. هذه الإعلانات التي لا تخلو من الإشارة إلى إغراءات الامتيازات والمناصب للمشاركة فيها. مع الإشارة أيضا على إعلانات الخاصة بالدروس التدعيمية والإشهار لبعض المدارس والثانويات والتنويه ببرامجها التعليمية وكفاءة مدرسيها والطاقم الإداري المسير لها. وهنا نفتح مجالات للقول أن التعليم الفرنسي في الجزائر أسس لخدمة المستعمر والإستعمار لا غير، ولم تهتم الحكومة الفرنسية أبدا بتعليم الجزائرين حقا "فلقد تجاهلت الحكومة الإستعمارية في أول أمرها التعليم، ولم تكن مشتغلة إلا بإفناء العنصر الجزائري، وتحطيم قواه وإخماد حركاته، فما كاد ينتهي ذالك الدور الفضيع، حتى كانت البلاد قد فرغت من العلم بصفة تكاد تكون مطلقة، وأصبح الناس يتعلمون سرا في ديارهم كأنهم يرتكبون جريمة"[14]

وإذا كانت هذه المسابقات مفتوحة للمعمرين والجزائريين إلا أن شروط القبول كثيرا ما كانت في صالح المستوطنين لا الجزائريين، خاصة عندما تشترط الخبرة والمستوى التعليمي المحدد. وهي شروط كانت تعجيزية وبعيدة كل البعد عن واقع وحقيقة المواطنين الأصليين الذين يتخبطون في سياسة التجهيل والفقر التي فرضها عليهم المستعمر.

ومما تجدر الإشارة إليه كذالك، هو أن إعلانات الجريدة اعتبرت الجزائر فرنسية، ولذا كثيرا ما كانت تربط الجزائر بالوطن الأم- فرنسا -؟ عندما تذكر في تلك الإعلانات مراكز الامتحانات أو أماكن المسابقات، إذ كثيرا ما يورد اسم مدن جزائرية وأخرى فرنسية وكأنها تنتمي إلى إقليم واحد ودولة واحدة وهو الشيء الذي كانت فرنسا تعمل على ترسيخه في الأذهان وتحاول إقناع به الآخرين بانتهاج مختلف الطرق والأساليب.

الصحة العمومية:

وفي ميدان الصحة، فان الجريدة لم تخلُ في العديد من أعدادها من الإعلانات أو المقالات التي تعطي لنا صورة ولو أحادية الجانب عن هذا القطاع في مدينة سطيف في تلك الفترة. لكن ما يهمنا نحن من كل ذلك هو الإحاطة بكل ما يمكننا معرفته عن تاريخ سطيف، إذ لسنا هنا للتأريخ للاستعمار، وإنما للاطلاع على الحالة الإجتماعية لسكان منطقة سطيف في فترة كان فيها تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية.

فمن الأخبار التي تناولتها الجريدة، والتي تحفظ تاريخ الصحة في سطيف، نجد المستشفى الجهوي لسطيف الذي تحدثت عنه الجريدة في إطار الزيارة التي قام بها السيد راؤول M. Raoul نائب رئيس بلدية فرساي ورئيس الوفد المرافق له، فتمت زيارة مختلف أجنحته برفقة السيد دوفو M.Devaux مدير المستشفى آنذاك، فأعجب الوفد الزائر بنظافته وسعته التي وصلت إلى 500 سرير، والتوزيع الجيد للأجنحة والأقسام. وذكرت الجريدة أن المستشفى كان يضم سنة 1957، جناحا للعمليات، وآخر للأمومة، وقاعة للأشعة. وقد نال هذا المستشفى الإعجاب والثناء مما يدل على أنه كان معلما هاما ومميزا آنذاك[15].

كما كانت هناك أخبار عن عمليات التبرع بالدم، وأنّ هناك جمعية خاصة بالمتبرعين بالدم تمارس نشاطات خاصة بها.[16] هذه الجمعية التي وبحسب الجريدة كان لها صدى وسمعة دولية كبيرة[17]

المـرأة:

انطلاقا من ما ورد في الجريدة من أخبار ومقالات، فقد كان للمرأة الفرنسية في سطيف دور خاص، حيث كانت تشغل مناصب ذات مسؤوليات إدارية عديدة كالسيدة شمبري Shcembri مديرة ثانوية الشباب والسيدة جليو رابان" Geliot Rappene" مديرة جهاز الصحة والسيدة "بوتا،Botta" مديرة مدرسة sténographie- dactylographie... والسيدة اونريات M.Enriette مديرة مشغل الخياطة والطرز... والسيدة عطار بوهاجر رئيس منظمة الصليب الأحمر. كما كان للمرأة حضور دائم في مختلف المراسيم والحفلات، وكذا في التظاهرات التي كانت تقام. إلا أننا لا نعثر في الأعداد المتوفرة من الجريدة على أسماء نساء جزائريات ذوات مسؤولية أو مركز إداري هام، اللهم إلا في بعض معاملات البيع والشراء التي تكون فيها طرفا بائعا لأرضه وهو ما يؤكد لنا ذلك التهميش الذي كانت تعاني منه المرأة الجزائرية إبان الحقبة الاستعمارية.

وتؤرخ الجريدة أيضا لتاريخ الفرع الولائي لفتيات جبهة التحرير الوطني بسطيف، فتذكر العديد من الأعمال التي قام بها هذا الفرع في تلك الفترة،1963 وهي فترة الاستقلال كما أنها مرحلة البناء والتشييد ومحو آثار الاستعمار من تخريب ودمار وتجهيل وفقر وشتات، خاصة الأعمال الإرهابية والعنيفة التي قامت بها مجموعات المستوطنين كرد فعل إجرامي على استقلال البلاد. ومن هذه الأعمال تقديم الاعانات المختلفة، طبية وغذائية ومؤونات والبسة للعائلات المحتاجة، التي تتم برمجة زيارات لها في المداشر والقرى البعيدة.[18]

خاتمة:

كثيرة هي الجرائد والمجلات التي تعالج الأحداث التاريخية أو الإجتماعية أو الثقافية... المعاصرة لها، وجريدة " يقظة سطيف" نموذج لذلك. حيث عالجت مواضيع مختلفة وخلّدت أحداثا لم تدوّن في كتب أخرى، وبالتالي فمن الضروري بأن نتناولها بالدراسة والتمعن والتحليل، ونعرّف القارئ والباحث من خلالها عن مختلف الطواهر والمظاهر الإجتماعية التي عاشها المواطن الجزائري عامة والسطايفيعلى وجه الخصوص للوصول إلى قراءة مختصة وشاملة عن البنية الإجتماعية للمنطقة وما جاورها.

الهوامش:

[1]- العنوان الأصلي للجريدة هو: *L'Eveil de Sétif* .

[2]- كانت تصدر باللغة الفرنسية وقد تمت إدارتها وطباعتها بشارع القديس أوغستان *rue Saint Augustin* بسطيف. كما لم تكن تصدر بانتظام، حيث كانت أسبوعية أحيانا، ونصف شهرية أحيانا أخرى، ومن أعدادها من كان صدوره بعد فترة أطول من ذالك. كم أن مدير الجريدة هوأحد الشخصيات الهامة في الإدارة الفرنسية، حيث كان عضو اللجنة الإدارية لمقاطعة سطيف ونائب رئيس بلديتها (1957).

[3]- حددت الجريدة الهدف من إنشائها في العبارة التالية: "اختير عنوان "اليقظة" لإدماج الإعلانات القانونية والقضائية وغيرها مما هو مفروض من أجل صلاحية المعاملات والعقود".

[4]- ألقى السيد شارل برانكا *Charles Brincat* كلمة ترحيبية بالضيوف، تناول فيها نبذة مختصرة عن تاريخ سطيف والمنجزات الفرنسية بها منذ مطلع القرن التاسع عشر، بهدف الترويج للانجازات الفرنسية

[5]- العدد 1350، س 28، 9نوفمبر 1957.

[6]- خالدي مصطفى و عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ب.ط، 1986، ص،45

[7]- نفس المرجع، ص47.

[8]- العدد1342، س22،28جوان 1957.

[9]-العدد 1356، س28، 22 فيفري 1958.

[10]- خالدي وفروخ، مرجع سابق، ص 45

[11]- العدد1487، س32، 04 جانفي 1963.

[12]- خالدي وفروخ، مرجع سابق، ص 125-126.

[13]- بن نبي مالك، مشكلات الحضارة،القضايا الكبرى، دار الفكر المعاصر، بيروت،ط 2000، ص34.

[14]- احمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، ب.ت، ب.ط،، ص138.

[15]-العدد1350، س9،28 نوفمبر1957.

[16]-العدد1349، س26،28 اكتوبر1957.

[17]-العدد نفسه.

[18]-العدد1493، س32، 15مارس1963.

قائمة المصادروالمراجع:

المصادر:

- جريدة L'EVEIL DE SETIF مجموعة أعداد.

المراجع:

1- مصطفى خالدي وعمر فروخ، **التبشيروالاستعمارفي البلاد العربية**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ب.ط، 1986
2- مالك بن نبي، **مشكلات الحضارة،القضايا الكبرى**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 2000.

3- أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، ب.ت، ب.ط.